اللغة وآفاق البيئة المادية والمعنوية ألفاظ الزراعة في لغة صنعاء – اليمن «نموذج»

دكتور
تامر سعد إبراهيم خضر
مدرس علم اللغة – كلية الآداب – جامعة قناة السويس

مقدمة:

اتجهت عناية اللغويين الأوائل إلى الرحلة في القبائل العربية والسماع من أفرادها وتحليل الخصائص الصرفية والصوتية لألفاظهم ولهجاتهم؛ والاهتمام بتدوينها، وامتلأت معاجمنا الأولى بمثل هذه الألفاظ من قبائل الجزيرة العربية، وكان اللغويُّ يزداد قدره كلما ساح وطاف بين القبائل وسمع منهم ونقل أخبارهم.

ووجد الاختلاف اللفظي بين القبائل خاصة على المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية بما يعكس تأثر لغة القبيلة بخصائصها الحضارية والبيئية بوجهٍ عامٍ.

فالبيئة لها تأثير عظيم على تشكيل فكر الجماعة الذي اللغة جزءٌ منه، سواءً كانت مادية أو معنوية.

البيئة المادية تشمل الخصائص الجغرافية، والمناظر الطبيعية والأحوال المناخية، وبتعبير أقصر: كل ما يتعلق بالطبيعة المادية.

وأما البيئة المعنوية فتشمل الأحوال الاجتماعية، والسياسية، والعلمية، والأدبية، والدينية، والأخلاقية ... وكل ذلك في حدود الأسرة والحارة والقرية والمدينة، والقطر، والحزب، والمدرسة ... إلى آخر ما هناك من بيئات غير مادية.

وهذه الأمور كلها لا تختلف من قطر إلى قطر فحسب، بل تختلف من مدينة إلى مدينة، وحتى من أسرة إلى أسرة في المدينة والواحدة، ومن شخص إلى شخص في الأسرة الواحدة.

ولاشك أن القرءان الكريم راعى البيئة في الخطاب اللغوي حينما قال (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية، ١٧-٢٠]

بل وراعى البيئة حين رغبهم في الجنة، بأن أقصى ما يتمناه العربي في صحراء الجزيرة أن يُصَبَّ عليه الماء، وأن يركن إلى ظل شجرة، فقال ربُّنا: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) [الواقعة: ٢٧-٣١].

ولهذا كانت وجهتي إلى ذلك البحث: «اللغة وآفاق البيئة المادية والمعنوية – اليمن نموذج»؛ ولم يسعني الجهد والوقت إلى دراسة الألفاظ اليمنية وإنما اقتصرت على لغة أهل صنعاء كمكان، وعلى ألفاظ الزراعة كمجال. وعلى الوقت المعاصر كزمان.

سنرى مدى تأثر لغة أهل صنعاء بالبيئة المحيطة بها في ألفاظ الزراعة بوجهٍ خاص، بيد أن لغتهم لم تتأثر بالعوامل الخارجية من استعمار واقتصاد وسياسة وغيرها كبقية الدول المجاورة لها، على الرغم من موقع اليمن الجغرافي كمركز لتبادل التجارة العالمية بين الشرق والغرب، بل ظلت تحتفظ بكثير من خصائصها وسماتها اللغوية الضاربة في عمق السبئية والكنعانية والعربية الجنوبية بوجهٍ عامٍ.

لماذا؟ لأن جغرافيا وتاريخ اليمن وصفاته الحضارية والاجتماعية فرض ذلك؛ فيما سيتضح جليًا من خلال ألفاظ الزراعة عند أهل صنعاء.

وساعدني على هذه الدراسة في المقام الأول وجود عدد من طلبة الدراسات العليا اليمنيين الذين انتقلوا إلى مصر بعد عام ٢٠١١م لاستكمال دراستهم في مصر بعد أحداث اليمن الأخيرة؛ بالإضافة إلى بعض المراجع

والمصادر التي اهتمت بلغة الخطاب الصنعاني خاصة كتاب: محمد الشعيبي، مدونة مفردات ورموز لغة الخطاب الصنعاني وآفاقها الاجتماعية والتاريخية، اليمن، ٢٠٠٩م.

فالدراسة ميدانية معجمية؛ ولكني حاولتُ قدر جهدي تأصيل الكلمات لغويًا بالرجوع إلى المعاجم العربية القديمة، وكذلك تأصيلها تاريخيًا ودلاليًا.

راجيًا من المولى عز وجل التوفيق وأن ينال القبول.

وتم تقسيم البحث إلى:

أولاً: تمهيد: تأثر اللغة بآفاق البيئة ماديًا ومعنويًا.

ثانيًا: ألفاظ الزراعة في لغة أهل صنعاء؛ وتشمل:

أ- المواسم والفصول.

ب- المحاصيل الزراعية وما يتعلق بها من زرع وحصاد.

ج- المياه وما يتعلق بها.

د- الأماكن والمناطق الزراعية.

ه- أدوات الزراعة.

تمهيد

تأثر اللغة بآفاق البيئة ماديًا ومعنويًا

اتجهت عناية كثير من الباحثين والدارسين اللغويين والمجامع اللغوية إلى دراسة المصطلحات وألفاظ الحضارة في التراث اللغوي العربي في محاولة لرصد الذخيرة اللغوية العربية ونموها وتطورها عبر العصور.

فالحضارة هي طريقة حياة جماعة إنسانية؛ فهي تتضمن كل أنماط السلوك المكتسبة التي يتبعها الإنسان ويتوقعها سائر أفراد جماعة ويقرُّونها –

ولذلك "كلما اتسعت الحضارة ظهرت الحاجة إلى الألفاظ والأساليب التي تعبر عما بلغته من تطور؛ واللغة بذلك وعاء يستوعب الحضارة الإنسانية"[١].

وبما أن الحضارة عبارة عن مجموعة خصائص اجتماعية وخلقية وتقنية شائعة[٢]؛ فبالتالي ستتنوع ألفاظ المدلول الواحد داخل الحضارة الواحدة؛ فالوطن العربي تتنوع ألفاظ الحضارة للمدلول الواحد من شعب إلى شعب ومن قطر لآخر؛ وذلك نظرًا لاختلاف الخصائص الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية والإدارية بين بعض شعوب الوطن العربي، فمصطلح مثل "المناظرة" عند المغاربة تعني "**المسابقة**" عند المشارقة، و"**الوزير الأكبر**" عند المغاربة يعني "**رئيس الوزراء**" عند المشارقة، و"**محل للجدك**" عند المصريين يقابل "**محل للتقبيل**" عند السعوديين.

يقول ساطع الحصري: "عندما أخذت أتصفح أول جريدة اشتريتها يوم وصولي إلى تونس، وقع نظري فيها على عنوان أثار اهتمامي بشدة: "اجتماع مجلس النواب".

إن مجلس النواب المبحوث عنه تحت هذا العنوان ما هو إلا مجلس "يتركب من مسيري النقابات". وأما المجلس الذي يشبه المجالس النيابية، فيسمى في تونس باسم "المجلس الكبير"[٣].

وكذلك "الجهة" عند المغاربة تعني "الإقليم" عند المشارقة، و"المراقب المدني" يقابل "المفتش العام"، و"العمالة" تقابل "المديرية" في مصر، والمتصرفية" في العراق، و"المحافظة" في سوريا.

ومن أبرز وأغرب الأمثلة على اختلاف التعبير عن المدلول الواحد بأكثر من رمز لغوي في البلاد العربية أسماء الشهور الشمسية، فالشهر الثامن من العام يطلق عليه في مصر (أغسطس) متأثرًا باللفظ الإنجليزي، وفي الشام

والعراق (آب) متأثرًا بالألفاظ العربية السامية القديمة، وفي تونس (أوت) متأثرًا باللفظ الفرنسي.

"لقد لاحظ العلماء الذين توغلوا في درس الحوادث الاجتماعية اللسانية، أن الكلمات كثيرًا ما تنتقل من لغتها الأصلية إلى اللغات الأخرى، حسب العلائق التي تنشأ وتتوثق بين الأمم التي تتكلم بها، وقد تندمج هذه الكلمات في اللغة التي دخلت عليها، فتنتظم في سلك كلماتها الأصلية، وتتكيف بمقتضيات قواعدها الخاصة وقد تولد نسلاً جديدًا في وطنها اللغوي الجديد، يختلف عن النسل الذي كان قد تولد منها في موطنها الأصلي اختلافًا كليًّا"[٤].

فالأمم تتعامل فيما بينها، وتنشأ عن تلك التعاملات حركة تأثير وتأثر في المصطلحات والألفاظ الحضارية، فالمعاملات التجارية تؤدي إلى انتقال الأسماء مع الأشياء والأمتعة... والسيطرة السياسية تؤدي إلى انتشار الكلمات والتعبيرات المستعملة في الأنظمة الإدارية والعسكرية... والنفوذ العلمي يسبب انتقال المصطلحات العلمية مع الآراء والمعلومات... وهكذا في بقية التعاملات، ونرى ذلك واضحًا في تأثير التركية في مصر.. والفرنسية في دول المغرب العربي .. والفارسية والتركية في إقليم الشام والعراق .. والحبشية والهندية والفارسية في جزيرة العرب.

وخلاصة القول؛ إن كل بيئة بوجه عام تحتاج إلى اللغة لتعبر عن ماهيتها بألفاظها ومدلولاتها التي ترسم الخصائص المادية والمعنوية لهذا المكان.

كما أن للغة تعريفات متنوعة منها التعريفات الحضارية، ومن هذه التعريفات ذات الصفة الحضارية أن اللغة منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع[٥].

وغيرها من التعريفات المتنوعة للغة والتي تؤكد على ثلاث صفات تتميز بها اللغة: الطبيعة الصوتية، والوظيفة الاجتماعية، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنساني إلى آخر"[٦].

وبالتالي يجب علينا دراسة اللغات العامية واللهجات المحلية للأقطار العربية ومدى تأثرها بالبيئة المحيطة بها: ما هي أنواعها؟ وما هي خصائص كل نوع منها، من حيث الكلمات والألفاظ والتعابير؟ وما هي حدود انتشار كل واحدة من تلك الكلمات والأساليب والتعابير؟ وما هي أسباب اختلاف هذه اللهجات عن الفصحى من ناحية، وبعضها عن بعض من ناحية أخرى؟ ألا يوجد بين الكلمات الدارجة في بعض البلاد ما ينطبق على قواعد الفصاحة كل الانطباق؟ ألا يوجد بين اللغات الدارجة صفات واتجاهات عامة ومشتركة؟ ألا تدل هذه الاتجاهات العامة والمشتركة على وجود دوافع عامة وضرورات مشتركة؟ أفلا يجب علينا أن نستكشف هذه الدوافع والحاجات، لكي نستطيع أن نعالجها بأساليب أقرب إلى الفصاحة على قدر الإمكان؟

إن كل هذه الأمور والمسائل يجب أن تدرس وتبحث بكل اهتمام. وفضلاً عن ذلك كله يجب علينا أن نتبع التطورات التاريخية أيضًا، من المعلوم أن اللغة كائنٌ حيٌّ، يتطور على الدوام بتطور المجتمع، وينمو تبعًا لنمو الأفكار وتنوع الحاجات. إذ لكل كلمة، وكل أسلوب، في كل لغة وفي كل لهجة، تاريخ طويل أو قصير، ماضٍ قريب أو بعيد.

يتبين من كل ما تقدم؛ أن الأبحاث اللغوية لا يجوز أن تبقى محصورة بين صحائف الكتب والمعاجم اللغوية المعلومة، بل يجب أن تخرج إلى ميادين الحياة الاجتماعية، وتدرس وتسجل ما يشهد وما يلاحظ في تلك الميادين بصورة فعلية.

وكما قلتُ في البداية: إن علماء اللغة القدماء تجولوا بين القبائل ودوَّنوا ما سمعوه وما لاحظوه بكل تفصيل واهتمام. فيحسن بنا أن نقتدي بهم في هذا المضمار؛ فنلاحظ ونسجل ما نسمعه من خصائص الكلام، في كل مدينة وفي كل بيئة، بين الزراع والعمال، بين البنائين والتجار، في المدن والأرياف، بين الرجال والنساء، بين الكهول والأطفال.

ولا يجوز لنا أن نتقاعس عن العمل في هذه السبيل بحجة الاكتفاء باللغة الفصحى ... إذ يجب علينا أن نعلم علم اليقين بأن تغير الأشياء وتحسينها يتوقف على معرفة خصائصها ومراعاة نواميسها.

ألفاظ الزراعة في لغة أهل صنعاء:

يتمثل النشاط الزراعيّ والارتباط بالأرض أقدم مظاهر النشاط الإنسانيّ العلميّ الهادف، والذي عرفه الإنسان بعد الصيد، وحاول به جاهدًا السيطرة على الطبيعة لضمان بقاء جنسه، وهو الأساس الماديّ للتطوُّر الاجتماعيّ في حياة المجتمع الأوليّ، فقد مَثَّل الأساس الوحيد والشرط المُهِم للبقاء والتطوُّر.

ومازال هذا النشاط الاقتصاديّ يُمثِّل عصب الحياة حتى الوقت الحاضر لكثير من المجتمعات.

لقد نشأت حضارات إنسانية راقية على مر العصور غالبًا ما كانت ترتبط أو تقوم على نشاط اقتصاديّ زراعيّ في الأساس، كحضارات وادي النيل وبلاد الرافدين واليمن، ولعبت شروط أساسية عديدة الدور الفاعل في استقرار تلك المجتمعات وتطوُّر نشاطها الزراعيّ الإنتاجيّ كمياه الأمطار والأنهار وجودة التربة، وقيام دول قوية وغيرها.

وإذا ما عدنا إلى تاريخ المجتمع اليمنيّ لوجدنا اهتمام اليمنيِّين بالزراعة إلى جانب النشاط التجاريّ الذي سمح به موقع اليمن جغرافيًّا في خارطة التجارة العالمية، وكان لذلك النشاط الدور الفاعل في قيام الدول اليمنية القديمة وحضاراتها الزاهية التي كانت عنوانًا لعظمتها.

ولعل الإنسان اليمني منذ القدم، ولمعرفته للزراعة وإتقانه لها، بل حبّه وارتباطه بها، كان له الفضل في تحديد لوازمها وأسسها، وكان لذلك ما كان من إطلاقه التسميات المختلفة على كل ما يتصل بها. وقد كان للهجات المحلية أثرها على إطلاق التسميات، ومن هنا اختلفت من مكان إلى آخر في الريف اليمني. بل إنك مع هذا تجد تشابهًا بينها على رغم اختلاف الأصوات القريب بعضها من بعض. وقد كان للبيئة أثرها ولاسيما في تسمية مواسم السنة. وإنا لنجد مع كل هذا في تلك الألفاظ التي أطلقها اليمنيون فصاحة غير بعيدة من فصيح العربية.

وبالرغم مما تعرَّض له الشعب اليمنيّ من هجمات استعمارية واحتلال لم يكن لها أن أبقت آثارًا ثقافية، ذلك أن الشاهد على ذلك سلامة اللهجات اليمنية مما تعرَّضت له. وقد بدا هذا فيما عرفنا من ألفاظ الزراعة ووسائلها، فقد كانت هذه يمنية أصيلة وإن جاء الجديد الذي اقتضاه العصر. إن عامة ما عرفه اليمنيُّون واستعملوه له موضع في كتب العربية ومصادرها(٧).

ولعل ذلك عائدٌ في الأساس إلى عوامل البيئة الجغرافية؛ وخاصةً الجبلية التي تجعل من نفسها حصنًا حصينًا للحفاظ على اللغة والعادات الاجتماعية؛ بالإضافة إلى الطبيعة القبلية لأهل اليمن والتي من شأنها الحفاظ على الموروث واعتباره عنصرًا هامًا من الهوية والانتماء، وفطرة التدين عند أهل اليمن التي شهد بها رسول الله – صلى الله وعليه وسلم - حين قال – صلى الله وعليه وسلم -: «أهل اليمن أرقُّ الناس قلوبًا»، هذه الفطرة الدينية

جعلت التمسك باللغة لغة القرءان مظهرًا من مظاهر التدين، وكذلك أيضًا تضاريس ومناخ اليمن ألهم أهلها أن يتعايشوا مع الطبيعية بأسماء وكنى وألقاب كأنها شخصيات تعيش بين أظهرهم.

وإذا ذهبنا إلى منطقة "الشعيب" في صنعاء؛ نجد في ألفاظهم الزراعية تشكيلة فريدة عالية الكفاءة امتزجت فيها لغة "المسند" السبئية اليمنية على ألواح البرونز بحروفها الأبجدية التسعة والعشرين التي كانت خطوطه قد اشتقت حوالي سنة ألف قبل الميلاد وذلك من الخط الكنعاني ذي الاثنين والعشرين حرف بعد أن أضافت إليه الأحرف الستة الأخرى وهي: "تخذ ضظع" التي استفادت منها العربية الفصحى بدورها في القرن الثالث بعد الميلاد(٨).

أقول: امتزجت لغة المسند باللغة العربية الفصحى لتكوِّن لنا ألفاظًا زراعية استعملوها عبر قرون طويلة ولم تزل باقيةً وقادرةً على استيعاب علاقات التطور المتنوعة من أعمال تقنية الري، وفنون الهندسة المتنوعة، وصناعة الآلات، وسن القوانين، وغير ذلك.

[أ] المواسم والفصول:

يستعمل أهل هذه الجهة ألفاظ الصيف والخريف والشتاء، ولا يستعملون لفظ الربيع لأنه لا يدخل في عملهم، وأما الفصول الأخرى فهي ترتبط بنشاطهم الزراعيّ وليس لهم في الربيع من عمل لأن الأرض قد هيَّأوها فيه لاستقبال الصيف. ومع ذلك فإن هذه الفصول الثلاثة هي تسميات عامة لا يتقيَّدون باستعمالها أو تحديد مداها أكثر مما يلتزمون في تحديد المواسم الجزئية التي يعرفها الفلاَّح في صنعته، وفيها يحرث ويزرع ويشتغل بالأعمال الضرورية؛ ولذلك قسموا السنة إلى المواسم التالية:

[١] سُهَيْل: مصطلح زراعي يطلق على أحد أهم مواسم الزراعة والمطر في اليمن، وفيه تكثر الأمطار وتتدفق السيول. وهو ما بين شهري يوليو وأغسطس.

وفيه يقولون: "سهيل في ليلته ألف سيل"[٩].

ومدته (١٢) يومًا، وفيه يظهر نجم يطلق عليه هذا الاسم؛ وفيه ينتشر طائر الهدهد[١٠].

وفي لسان العرب: سُهَيْل: كوكبٌ يَمان...؛ قال الليث: إنه يطلع عند نَتاج الإبل[١١].

الظلال الدلالية: ويلاحظ دلالة المصطلح على ما فيه من خير ونماء، قال ابن سيده: السَّهْل؛ كلُّ شيءٍ إلى اللِّين وقلة الخشونة.

كما أنه يرتبط بعلامتين: نجم السُّهَيْل اليماني، وطائر الهدهد.

وفي المثل: "إذا طلع سُهيل، رُفِع كيل ووُضِع كيل" يُضرَب في تبدُّل الأحكام[١٢].

[٢] عَلاَّن: عَلاَّن مصطلح زراعي يرمز إلى موسم اللقاح واخضرار الأراضي ونمو الثروة الحيوانية، ويقع ثمره في ثلاثة نجوم من نجوم الخريف في اليمن وعدد كل نجم ثلاثة عشر يومًا؛ وهي: الصرفة، والقواء، والسماك؛ وتكون في شهر سبتمبر أيلول إلى أوائل شهر يونيو؛ وهو يأتي في أعقاب مطر الخريف.

وفيه ترتفع درجة الرطوبة في الجو، بما يكون مدعاة لالتهاب المفاصل عند البعض[١٣].

الظلال الدلالية واضحة في الاسم: "عَلان" من:

عَلَن: العِلانُ والمُعالنة والإعلان: المجاهرة.

عَلَن الأمرُ يعلُنُ عُلُونًا ويَعلِن، وعَلِنَ يعلَنُ عَلَنًا وعلانيةً فيهما إذا شاع وظهر.

وفي هذا الموسم يظهر الخير وينتشر علنًا.

[٣] العَلِب: مصطلح زراعي يطلق على أول نجم من نجوم الخريف المسمى بـ: "العَلِب"؛ وفيه تزرع الحنطة والشعير والفول.

ومادة (علب) في المعاجم العربية تعني: الشدة والغلظة والصلابة؛ ولعل نجم: "العلب" عند أهل اليمن يشير إلى تلك المعاني في بداية موسم الخريف(١٤).

[٤] القَنِيف: مصطلح متداول بين الفلاحين يرمز إلى السحابة السوداء.

وحكى ابن بري عن السيرافي: القنيف: الطيلسان، والقنيف: السحاب ذو الماء الكثير(١٥).

وأهل اليمن استخدموا اسم القنيف على السحابة السوداء التي تغطي السماء؛ تشبهًا بأصل معنى الكلمة وهو: الطيلسان؛ وهو: "ضربٌ من الأوشحة يُلبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة، يميل إلى الطُّلْسَة؛ وهو ما كان أغبرَ إلى السواد (١٦).

فهم استعاروا من الكلمة اللون والإحاطة.

[٥] حادية: وهي من مواسم الشتاء ويبدو قرانها في الليلة الحادية عشرة من الشهر وغالبًا ما تتم في شهر كانون الثاني يناير. ومن هنا كانت التسمية ومدَّتها شهر.

[٦] تاسعة: وتبدأ من قرانها بعد "حادية"، ويكون قرانها في الليلة التاسعة من الشهر، وهكذا كانت التسمية.

[٧] سابعة: ومدَّتها شهر، وهي بعد "تاسعة" وقرانها في الليلة السابعة من الشهر فجاءت تسميتها لذلك.

ويتفاءل الفلاحون بأمطارها إذ يرونها مبشرة بالصيف الممطر والخريف المثمر، ولدى الفلاحين مثل يُردِّدونه وهو: (أين ما حلَّت سابعة حليت يا بتول).

وعلى أن "سابعة" من الربيع إلا أن الفلاحين يعدُّونها من مواسم الصيف المبكر، ولا يستعملون الربيع.

[٨] خامسة: ومدَّتها شهر حتى نيسان (أبريل) حيث يكون قرانها في الليلة الخامسة لتدلَّ على التسمية.

[٩] المنسرق: مدَّته عشرة أيام، والتسمية ترتبط بنجم يشاهد ويطلق عليه هذا الاسم. ويقال لا يرى له أثر في الطبيعة المرئية فيصعب تحديده، ولهذا سُمِّي "المنسرق".

[١٠] المئة: وهذه على احتساب مئة ليلة منذ قران "حادية" في كانون الثاني، وغالبًا ما تتردَّد عبارة "من قران حادية إلى ليلة المية يا مئة ليلة". ومن ليلة المية إلى ليلة أول الخريف مئة ليلة. وبهذه الطريقة يقسمون المواسم بالأيام التي تتخلل هذه المدَّة، وغالبًا ما تصادف الثلاث الأخيرة من (أبريل، نيسان) ومدَّتها عشرة أيام فقط.

[١١] التسعين: ومدَّتها عشرة أيام، وعادة ما يكون زرعها طويل جدًا لكن حبَّات سنابلها غير مكتنزة.

[١٢] الثمانين: ومدَّتها عشرة أيام، وهي صالحة أيضًا وما بعدها لزراعة الذُّرة وكذا الدخن الباكر.

[١٣] السبعين: ومدَّتها عشرة أيام كذلك، وهي آخر المواسم الصالحة لزراعة الذرة والدخن أيضًا. ويبدو أن للتسمية هنا صلة بالأعداد، وذلك لما يشاهد من العدد بالتساوي في كلٍّ منها. وهذا التحديد الزمنيّ مرتبط أساسًا بالشواهد والآثار التي تتركها على النبات.

[١٤] الستين: ومدَّتها (١٢) يومًا، وفيها (نجم الثوار) للثلاثة أيام الأولى من نصفها الثاني، وللتسمية صلة بالشواهد التي تبدو خلال هذه الأيام الثلاثة حيث تثور[١٧] حركة الرياح الساخنة، والثور هو أسوأ المواسم سواء في أمطاره أو في العمل فيه أو في حرارة شمسه، وهو غير صالح للإنبات بل إنه مؤذٍ للنبات. وإذا هطل المطر كان سببًا في ظهور حشرة **"الجدم"**[(١٨)].

[١٥] الخمسين: ومدَّتها (١٢) يومًا، وهي من المواسم الصالحة لزراعة الدخن إذا ما هطل المطر.

[١٦] الأربعين الماء: وتطلق على النجوم:

- سهيل: ويبتدئ من (٢٤) يوليو، وأيامه (١٣) يومًا.
- الروابع الأولى: ويبتدئ من (٦) أغسطس، وأيامه (١٣) يومًا.
- الروابع الثانية: ويبتدئ من (١٩) أغسطس، وأيامه (١٣) يومًا.

ويسمون هذه النجوم بالأربعين الماء لأنها تكون أيام ممطرة.

[١٧] القرار: ومدته غالبًا (١٨) يومًا، وللتسمية صلة بثبوت مطلع الشمس قبل أن تميل إلى الجنوب ولمدَّة (١٨) يومًا كما يؤكدِّ ثبوت هذا الموسم ظهور ثمار البلس حيث يقال في المثل: (أول بليسة إلى القرار).

[١٨] الظُّلَم: ومدَّته (١٢) يومًا، وهي يتميز بتراكم سحبه وظلالها؛ والعلاقة الدلالية بين اللفظ وما يشير إليه واضح.

والظُّلَم جمع: ظُلْمَة؛ وهو: ذهاب النور.

والثلاثُ الظُّلَم: أوَّلُ الشهر بعد الليالي الدُّرَع، قال أبو عبيد: في ليالي الشهر بعد الثلاث البيض ثلاثٌ دُرَعٌ وثلاثٌ ظُلَمٌ، قال: والواحدة من الدُّرَع والظُّلَم دَرْعاءُ وظَلْماءُ. وقال أبو الهيثم وأبو العباس المبرد: واحدةُ الدُّرَع والظُّلَم دُرْعَة وظُلْمَة[١٩].

[١٩] العنابر: وهي المخازن، وربما كانت التسمية تفاؤلاً بأنها مخزن الأمطار خاصة، وهي تنذر بانتهاء القيظ وبدء الخريف الممطر. ومدَّتها (١٢) يومًا، وتحسب منها الستة أيام الأولى من القيظ والستة الأخيرة من الخريف، حيث تعتبر الليلة السادسة منها ليلة أول الخريف، وإلى هذه الليلة تكتمل مئة ليلة من المئة التي ذكرناها.

وغالبًا ما تكون في آب (أغسطس)، وغالبًا ما يطلق على مجمل المواسم التي يحتويها شهر حزيران (يونيو) وتموز (يوليو) اسم (القيظ)، وهو بمعنى الحر الشديد، وهذه الفترة بالفعل تتميز بشدة الحرارة، وفي المثل: "لو تمطر الشهر كله لابد من قيظ شهرين".

[٢] القُتور: ومدَّته (١٢) يومًا، والقتور هو البخيل) في العربية، أو من قتر النار: جعلها تدخن. وهذا الموسم يتميز بشدة الحر حتى ليقال: (شمس القتور تصل على الذي في القبور)، ومثل آخر يقال فيه: (إذا سربت خربت)، فإذا

ابتدأت بمطر شهدت بقية أيامها أمطارًا غزيرة تؤدي إلى الضرر بالزراعة والأرض. وإذا ابتدأت بشمس شهدت بقية أيامها حرارة مرتفعة وسماء خالية من السحب حتى يتضرَّر الزرع.

[٢١] الجَحْر: مصطلح زراعي قديم يرمز إلى موسم الجفاف الذي يعم البلاد مرتين في العام؛ الأول: في كانون الأول (ديسمبر)، والثاني: في كانون الثاني (يناير)؛ ويسمى: حجر الشتاء، أما الحجر الثاني ويسمى: حجر الصيف فيكون من منتصف شهر مايو إلى منتصف شهر يونيو، وهم يقولون حول ذلك: لابد من الحجرين لو تمطر البحرين.

ولا يخفى ما في ظلال الكلمة الدلالية من شدة وبؤس؛ وفي لسان العرب: الحَجْرة: السنة الشديدة لأنها تحجَرُ الناسَ في البيوت. وكذلك تنطق بفتح الحاء (الجحَرة) ... وجَحَر الربيعُ: إذا لم يصبك مطره[٢٠].

[٢٢] الثالث والرابع والخامس والسادس: ومدَّة كلٍّ منها (١٢) يومًا، وهي أسماء نجوم تبدو في السماء وتلاحظ في الليل على شكل خطٍّ مستقيم، وتظهر في فترات تصل إلى ١٢ يومًا يتبع أحدها الآخر. ويتفق الفلاحون على أن هذه النجوم وآخرها السادس هي آخر مواسم زراعة الخريف، فقد قيل: "إذا كان السادس اضرب الأخضر باليابس".

ويليها النجم السابع ومدَّته (١٢) يومًا تبدأ بعده مواسم أخرى تُبشِّر عن مجيء الشتاء.

[٢٣] القيَّاض: الفصل الذي تتم فيه زراعة: الحنطة، والشعير، والفول، والعدس، وغيرها من المزروعات البقولية، وتتم زراعتها في الأشهر الواقعة بين الخريف والشتاء.

وللكلمة ظلال دلالية؛ فهذا الفصل تزرع فيه البقوليات والتي غالبًا ما تكون لها قشرة إذا يبست وأمكن نزعها فقد حان وقت الحصاد.

وفي اللسان: قَيض: القَيْض: قشرة البيضة العُليا اليابسة[٢١].

[ب] المحاصيل الزراعية وما يتعلق بها من زرعٍ وحصاد:

[١] النظية: مصطلح زراعي يطلق على بعض أنواع المزروعات المعينة؛ التي يتم زرعها وحصدها في أوقات محددة من السنة وليس في أي وقت آخر، وتشمل هذه الأنواع على الآتي: الحنطة (البرّ)، والشعير، والفول، والعدس، وغيرها من المزروعات البقولية. وتتم زراعتها بين الشتاء والخريف.

[٢] الشَّرَف: وهو لحي القصب.

[٣] القليم: الحصاد وهو قطع السنابل.

[٤] العَجور: وهو قصب الذرة الخاص بالحيوان.

[٥] التِّبْن: مجموعة مخلفات المواد والأعلاف الزراعية الجافة المدقوقة بما فيها مخلفات الحنطة والشعير والعدس.

[٦] الصعيف: مصطلح يطلق على تناول حبَّات الحصاد وهي طازجة من الحقل مباشرة، وهي على هيئة سنابل كالذرة والحنطة والشعير.

[٧] الطَّبون: وضع السنبلة داخل الجمر وبعدها يتناولها الفلاح وهي ساخنة فيما يطلق عليه اسم: الجهيش المشوي على النار.

[٨] الحِشَر: الحزم الطويلة من سنابل القمح بعد تجفيفها.

[٩] المخارف: جمع: مخرف؛ وهو مكان الخريف، والخرف في لغة صنعاء وما جاورها يطلق على الفواكه الموسمية وخاصة العنب.

[١٠] المَدْح: مصطلح محلي يرمز إلى عملية سف قحاط أو حبوب السنابل من اللحى الصغيرة العالقة بها إثر عملية الحصاد والتجفيف تحت أشعة الشمس وهي العملية التي ينجم عنها هبوب ذرات صغيرة من القش مصحوبة ببعض الحشرات الصغيرة الطائرة فيما يسمونها: **"القَمَطَة"** تدمي الوجوه والجسم لسعًا ولدغًا لا يطاق.

وهي عملية **"الدريس"** في مصر مصحوبة بالبراغيث والبعوض وغيرهما من الحشرات الماصة للدماء.

[١١] القُطُب: اصطلاح يطلق على النبات الشوكي البري الذي ينبت في الحقول بعد موسم الحصاد، كما على السهول إثر نزول الأمطار.

[١٢] الجِرْن: مكان مكشوف على الأرض يوضع عليه الحصاد بهدف تجفيفه ودفعه وتنقيته، ومن ثم دوسه بواسطة الحمير والثيران، وأحيانًا ضربه بالعصيّ الغليظة، وهو "الجُرْن" في مصر.

[ج] المياه وما يتعلق بها:

[١] المَرجُو: خزان المياه الأرضي الذي تصب فيه الدلاء من البئر مباشرةً؛ وهو مستوحىَ من: "الرجاء"؛ أي: رجاء وجود الماء.

[٢] المسني: البئر؛ وفي اللسان: سناها الغيثُ يسنوها فهي مسنُوَّةٌ ومسنيَّةٌ يعني سقاها، قلبوا الواو ياءًا كما قلبوها في قِنْية.

وفي حديث الزكاة: ما سُقِيَ بالسواني ففيه نصف العُشْر؛ السواني: جمع سانية وهي الناقة التي يُستقى عليها، ومنه حديث البعير الذي شكا إليه فقال أهله: إنَّا كنَّا نَسْتُو عليه أي نستقي؛ ومنه حديث فاطمة – رضي الله

عنها: لقد سَنَوْتُ حتى اشتكيتُ صدري. وفي حديث العزل: "إنَّ لي جاريةً هي خادمتنا وسانيتُنا في النخل"، كأنها كانت تسقي لهم نَخلَهُم عِوَضَ البعير.

والمَسْنَوِيَّة: البئر التي يسنى منها(٢٢).

وأصل المادة من: "سنتِ النارُ تسنُو سناءًا": علا ضوءُها؛ وكذلك البئر إذا تفجَّرت بالماء؛ علا ماؤها.

[٣] العَريم: المردُّ الترابيُّ للسيول والأمطار الجارفة للأرض والمدرجات.

وأصل المادة من القوة والشدة؛ وفي اللسان: والعَرِمَة: سُدٌّ يُعتَرَضُ به الوادي، والجمع عَرِم، وقيل: العَرِم جمعٌ لا واحدَ له. وقال أبو حنيفة: العَرِم الأحباسُ تُبنى في أوساط الأودية، والعَرِم: السيل الذي لا يُطاقُ؛ ومنه قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)(٢٣).

[٤] الرَّهَق: منحدر سيل الأمطار المتجهة نحو الأرض الزراعية، وهو في العرف المحلي جزء ملحق لتلك الأرض وضمن إطارها.

وأصل المادة من: الخفة والحدَّة والعجلة؛ وهي صفات نزول الأمطار الصيفية الغزيرة على جبال اليمن والتي تنحدر بدورها إلى الوديان.

وفي الحديث: "إنَّ في سيف خالدٍ رَهَقًا" أي: عجلة، والرهَق: الهلاك أيضًا.

والرَّهُوق: الناقة الوَساعُ الجَواد التي إذا قُدْتَها رَهِقَتْك حتى تكاد تطؤك بخُفَّيها(٢٤).

[٥] الكَرَع: اسم يطلق على مياه الصهاريج العامة المصحوبة بالتربة المنجرفة إليه مع سيول الأمطار، وفي هذه الحالة تسمى كل أجزاء مظاهر وجود تلك المياه باسم الكرَع عدى مياه الشرب.

وأكرَعَ القومُ إذا صبت عليهم السماءُ فاستنقع الماءُ حتى يسقوا إبلهم من ماء السماء، والعرب تقول لماء السماء إذا اجتمع في غديرٍ أو مَسَاكٍ: كَرَع[٢٥].

[٦] الكظايم: غُرَف تفتيش ضخمة لقنوات السدود الكبيرة ولمجاري عيون الأنهار الصغيرة التي تروي بعض الحقول والبساتين.

وأصل الكظم: الحبس والردّ؛ وسميت بذلك لأنها تسد على الماء وتحبسه للانتفاع به.

وفي اللسان: الكِظَامة والسِّدادة: ما سُدَّ به. والكظامة: القناة التي تكون في حوائط الأعناب، وقيل: الكظامة: بئر إلى جنبها بئر، وبينهما مجرى في بطن الوادي، والكظامة: قناةٌ في بطن الأرض يجري فيها الماء. وفي الحديث: "أن النبي -ε- أتى كظامةَ قومٍ فتوضَّأ منها ومسح على خفيه"، وجمعها: كظائم[٢٦].

[٧] أسياخ مبنى السد: هو القوالب والأعمدة الفولاذية المصنوعة من معدن النحاس والفضة التي كانت تسند قوام جسم سد مأرب، اكتشف ذلك مؤخرًا على يد أعضاء البعثة الأثرية السوفيتية[٢٧].

[٨] المِجَلي: مصطلح يطلقه أهل العاصمة صنعاء على منافذ السيل الذي يجري في شوارع المدينة متجهًا إلى البساتين.

وأصل المادة من الخروج؛ جلا القومُ عن أوطانهم: إذا خرجوا ... والمياه هنا تخرج وتجلو من الشوارع متجهةً إلى منافذها ومن ثمَّ إلى البساتين، معلنةً جلاءها عن الشوارع والطرقات.

[٩] الماجل: البركة؛ وهي مكان تجمع مياه السيل وخزنه أثناء موسم الأمطار؛ تم وضعه خصيصًا بهدف مجابهة حاجة المواشي المستديمة للرعي في ضواحي صنعاء وسهول القرى الريفية المجاورة، وكذلك لشرب المسافرين، وقد يأتي باسم **"الكريف"** المصطلح اللغوي التاريخي الحميري الذي لا يزال قيد التداول لدى الكثير من الناس خارج صنعاء.

وفي اللسان: الماجل: الماء الكثير المجتمع[٢٨].

[١٠] مقاييس وقوانين توزيع مياه السيول والأمطار: المصطلحات التاريخية الخاصة بقانون توزيع مياه السيول والأمطار بين المزارعين، ومقاييس ضبط عملية التوزيع، كلها تقوم في الأساس على حركة الشمس والنجوم، وعلى مستوى الظل ودورتي الليل والنهار، وعلى مقاييس أخرى تقنية شعبية، تتراوح بين البسيط منها؛ **كالمناشر، والعقرم، والمفارع، وبين المركب والمعقد مثل: مصطلح الساعة المائية (الطاسة) و(القرد)، والسدادة، والكتوف، والأصابع،** فضلاً عن المعالجة الميدانية الحقوقية والتنظيمية لمشكلة تفاوت ملكية الأراضي وتجزئة بعض قطعها هنا وهناك، وقربها أو بعدها – من ثم – عن مصادر تدفق السيول، ومجاري الغيول والأنهار والسدود العملاقة الأربعون التي كانت تشكل عصب الحياة الزراعية والاقتصادية في اليمن، وهي من التعقيد والاتساع والعمق بحيث تحتاج إلى صفحات وصفحات[٢٩].

وهذه بعضٌ من مقاييس المياه:

القيراط: مقياس اصطلاحي مكون من أربعة وعشرين وحدة رقمية عامة، بموجبها تحدد الكمية المستحقة من المياه لهذا الشخص أو ذاك، وذلك على أساس معرفة المخزون في الصهاريج ونحوها وفقًا للمعايير المتعارف عليها.

العُقم: عبارة عن عريم ترابي صغير له ارتفاع محدد يسمح بجعله أداة معيارية لقياس كمية المياه الخارجة من الخزان العام أو برك السيول في شكل تخريجه، ويوضع العقم أمامها بهدف تقدير الكمية اللازمة بشكل يتساوى مع ارتفاع وضع العقم المحدد سلفًا في الأرض التي سوف تروى.

السدَّادة: عبارة عن وضع سدَّادة محكمة على مخرج خزان الماء وتركه يمتلئ لليلة كاملة، تمثل هذه الليلة المعادل المعياري العام للمقاييس الأدنى.

الطاسة: عبارة عن وعاء نحاسي في أسفله ثقب يخرج منه الماء خلال فترة زمنية محددة، اصطلح على تسميتها بـ(**الطاسة**)، وقد أصبحت الطاسة بسبب دقة وسلامة معيارها معادلاً عامًا لبعض المقاييس الأخرى، منها معيار (**القرد**) المعروف بدورة الليل والنهار كمقياس في ضوئه تتم معرفة كمية المياه المتدفقة، وكم لبنة من الأرض؟، وبالتالي تغمرها هذه المياه والتي قدرت بمائة واثنين وثلاثين طاسة، يليه مصطلح (**المفارع**) القياسي الذي يأخذ بدوره الليل والنهار ويعادلها بمائة وعشرين مفرعًا، ومصطلح المفارع في الأصل عبارة عن تخريج مقنن لكمية المياه التي تسحب من البرك الموجودة داخل مجرى السيل، وتسمى (**الشرج**) حسب تعبير السكان المحليين في منطقة تهامة، في حين يمثل معيار الليل والنهار بالنسبة لمصطلح (**الكهوف**) معادلاً يساوي اثنين وأربعين كفًّا، ومائة وثمانية وعشرين إصبعًا بالنسبة لمصطلح

(**الأصابع**) القياسي الآخر، وجميعها يخضع بدوره لمقاييس مسبقة مقررة في الخزانات التي تتجمع المياه فيها وتنصرف خلال أربع وعشرين ساعة[٣٠].

[د] الأماكن والمناطق الزراعية:

[١] وادي: أو حقل، وهي تسمية تطلق على مجموعة من الأراضي أو القطع التي تتحدَّد في منطقة مُعيَّنة، وغالبًا ما يكون على هيئة مدرجات مسوَّرة أو محصَّنة ببناء من الحجر، ويطلق على كل منها (حَرَّة) وجمعها (حرار)[٣١]. وهي في فصيح العربية الأرض ذات الحجارة السوداء.

[٢] القطعة من الأرض: وتطلق عليها أسماء مختلفة ترتبط أساسًا بحجمها، ومن هذه الأسماء:

جِرْبة: إذا كانت كبيرة إلى حدٍّ ما. ومن معانيها الأرض المُمْحِلَة أو المُجْدِبة. وربما كان لكبرها غرابة نجد أنها غالبًا لا تنال حاجتها من الماء.

وأصل المادة يعود إلى تغيُّر اللون؛ ومنها لونٌ أجرب؛ ولذلك لوحظ فيه التغير، وكلمة (الجِرْبَة) تتميز بتغير اللون إما بالجدب والجفاف؛ وإما بالزرع والثمار، وقد دلت على الأمرين:

- أرضٌ جَرْباء: مُمْحِلة مقحولةٌ لا شيء فيها.
- والجِرْبَة بالكسر: المزرعة، قال بشر بن أبي خازم:

تَحَدُّرَ ماءِ البِئْرِ عَن حُرَشِيَّةٍ على جِرْبَةٍ تَعْلو الدِّبَارَ غُروبُها[٣٢]

قسمة: وهي من قسم أو جزء، وهي أصغر من الجربة.

حقفة: وحقفة في العربية: الرمل الملتوي، وهي قطعة أرض صغيرة قد تكون على هيئة نصف دائرة.

وقد أخذوا من أصل الكلمة الشكل؛ أي التشابه بين اعوجاج الرمل وهيئة نصف الدائرة أو ما قاربها من قطع الأرض الصغيرة.

مَشْرب: اسم مكان من "شرب" وهو قطعة مستطيلة تعلو القطع الكبيرة لتسقى عبرها بمياه السيول؛ وسميت بذلك لأنها أول ما ينزل عليها الماء ثم يُوزَّع بعد ذلك على بقية الحقل.

حَوَل: والحَوَل هو الاعوجاج، وهو بهيئة المشرب، أو نصف دائريّ يلتوي على جوانب الجربة أو القطعة.

وهي من: حَوْل كذا؛ ظرفٌ يفيد الإحاطة، من قولهم: رأيتُ الناس حَوَالَيْه؛ أي: مطيفين به جوانبه(٣٣).

مَدفر: هو القطعة الصغيرة التي تنصب فيها السيول، وقد يطلق على موضع في طرد القطعة الواحدة والذي تصب فيه السيول، وهو اسم مكان من (دَفَرَ بمعنى دفع من الخلف). وللتسمية صلة بالسيول المندفعة إليه.

دَفَرَ في عُنُقِه دَفْرًا: دفع في صدره ومنعه(٣٤).

غول: وهو لفظ يطلق على مجموعة القطع الصغيرة المُدرجة وعادة ما يكون بين مرتفعين وهو في صحيح العربية بمعنى انهبط من الأرض.

وهذه القطع من الأراضي تكون عبارة عن مدرجات بين المرتفعات؛ ولذلك من صفاتها البعد عن مرأى العين لمن يقف بالوادي، والاستواء لمن وصل إليها ووقف عليها.

قال ابن خالويه: أرض ذات غَوْل بعيدة وإن كانت في مَرْأَى العين قريبة.

والغَوْل: ما انهبط من الأرض(٣٥).

[٣] أجزاء القطعة: وفيها تسميات لأجزاء عديدة تحتويها القطعة الواحدة مهما كان حجمها، وهذه التسميات هي:

ودن: وهو الطرف الخارجيّ من القطعة أو أعلى الحَرّة.

ولعل "الودن" من عامية أهل اليمن بمعنى "الأذن" وهي على التشبيه لعلوها كالأذن في جسم الإنسان.

ولعلها مأخوذة من الفعل "وَدَن"؛ وَدَنَ الشيءَ يَدِنُه وَدْنًا ووِدانًا فهو مَوْدون، وودين أي منقوع، فاتَّدَن: بلَّه فابتلّ[٣٦].

والطرف الخارجي للقطعة غالبًا ما يكون رطبًا ومبتل؛ لأنه أول ما يتلقى الماء.

حَزّ: وهو الطرف الداخلي من القطعة الذي يحاذي أسفل الحرة. والحز هو المنخفض من الأرض بين مرتفعين غليظين؛ ونرى لذلك سببًا وصلة بالتسمية بين الودن والحز، وهما أقل الأماكن ارتفاعًا وأشدّها انخفاضًا؛ إذ إنهما لا يزرعان وليس فيها إلا الحشائش.

تَلْم: وجمعها أتلام، وهي فصيحة، ويكون الزرع فيها كما في القطعة.

جنيذ:وهو الفرق المكاني بين تَلَّيْن، وفي فصيح العربية إنه الأرض الغليظة.

شاجبة: تُسمى الأتلام الخارجية الملتفة بأطراف القطعة، والشاجبة في العربية فاعلة من شجب بمعنى سد، ولعل في الاسم المحلي شيئًا من هذا.

وإذا نظرنا نظرة أخرى إلى الأرض؛ نجدها إما أن تُروَى بمياه المطر، وإما من العيون والآبار، ويطلق على قنوات الري ومسالك عبور المياه المؤدية إلى الأرض بـ(**المعبر**) أو (**الساقية**)، وهي ألفاظ فصيحة.

وقد تروى المزروعات من الآبار، وهي الحفر العميقة في الطين التي تتجمع فيها المياه الجوفية، أو من (**الماجل**) – سبق تعريفه -.

وإذا ما نما الزرع أطلق عليه تسميات مختلفة تدل على درجة النمو ومستواه؛ فيسمى "عذوق" إذا نما إلى مستوى ما يغطي سطح التربة.

و"**العذق**" في العربية فرع العثكول الذي فيه الرطب في النخلة. وقد استعير هذا هنا، ويطلق على الزرع حينما يكون متهيئًا لإخراج السنابل، وتبدو فيه السنابل المختبئة بالأوراق الملتفَّة عليها.

وكلمة "**بجم**" ومفردها "بجمة" وبجم الشيءُ؛ بمعنى: تقلَّص أو تجمَّع. وإذا ما نما الزرع ونضجت الثمار قطفت.

و"**القطن**" جمع قطنة، وتعني كما في القاموس، الحزمة، وهذه العيدان أي سيقان السنابل. وأما السنابل فتؤخذ إلى موضع قبل أن تداس يسمى (**مِجران**) وهو من (**جرين**) أي الموقع الذي تجفف فيه الثمار. ثم تحمل في "إخراج" جمع "خرج"، وهو وعاء من شَعْر أو نحوه في عدلين تحملهما الدواب[٣٧].

[هـ] أدوات الزراعة:

قد لا نكون هنا في حاجة إلى تسميات أدوات الزراعة الحديثة، وقد عرفت بأسمائها الحديثة، غير أن وسائل الزراعة الحديثة لم تنشر في "الشعيب"؛ وذلك لصعوبة الأرض وانحدارها الشديد فليس من اليسير الإفادة من الأجهزة الحديثة.

وهذه بعض من تلك الأدوات العتيقة، وهي:

[١] الشغَب: الحرث؛ وقد أخذت من الشغَب؛ وهي كلمة فصيحة بمعنى التهييج؛ وعلاقة المشابهة واضحة بين الكلمة وبين عملية الحرث التي تؤدي إلى تهييج الأرض وتقليبها[٣٨].

[٢] الهِج: العمود الخشبي الذي يوضع على عنق الثور بهدف تنظيم إيقاع حركته خلال عملية الحرث.

وفي اللسان: هجج الليثُ أو البعيرُ يُهيجِّج إذا غارت عينُه في رأسه من جوع أو عطش أو إعياء[٣٩].

ولعل كلمة "الهج" أخذت من هذا المعنى؛ لأن وضع العمود الخشبي على عنق الثور في هذه الطبيعة الجبلية يرهقه ويُعييه.

[٣] المَفْرِس: المعول؛ وأصل المادة من "الفَرْس" وهو الصيد والقتل[٤٠]؛ وهي وظيفة المعول في قطع الحشائش والتخلص منها.

[٤] الشريم: المنجل؛ شَرَم الشيءَ شَرْمًا: شقَّه من جانبه[٤١].

وهي طريقة المنجل في القطع؛ الشق والقطع من الجنب.

[٥] الحَلْي: أحد أدوات الحراثة الكلاسيكي المعتمد على سحب القارشة له، وهو عبارة عن عمودٍ من الخشب له رأس حاد شبه مسنن مقوى بمادة معدنية.

وسميت هذه الأداة بذلك الاسم بسبب ما تُزيَّن به في رأسها بمصوغ المعدنيات.

الحَلْي: ما تُزُيَّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة[٤٢].

[٦] الغرِارة: عبارة عن شبكة عريضة مصنوعة من خيوط الزعل، تستعمل لجمع مواد القش إلى داخلها ثم حملها على ظهر الحمير لتقلها إلى المخزن.

ولعل التسمية لهذه الأداة مأخوذة من عملية جمع القش والمخلفات الزراعية فيما تغافل عنه الفلاحون.

وفي اللسان: الغار: الغافل[٤٣].

- غَرَّ الرجلُ – غَرارة، وغِرَّة: جهل الأمور وغفل عنها، فهو غِرٌّ.
- (الغِرارة): وعاءٌ من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق[٤٤].

[٧] المَعَارة: كيس مستطيل طويل مصنوع من الجلد يحفظ في داخله بعض أدوات ومخلفات الإنتاج الزراعي ويوضع عادة على ظهر الحمار مضافًا إلى حمولته العادية.

ويستخدمون بعد ذلك هذه المخلفات الزراعية في تسميد الأرض.

وفي اللسان: عَرَّ أرضَه يَعُرُّها أي سمَّدها، والتعرير مثله. ومنه حديث ابن عمر: كان لا يَعُرُّ أرْضَه، أي: لا يُزبِّلهُا بالعُرَّة[٤٥].

[٨] المَخْلَة: هي كيس صغير يستعمله المزارع لوضع بعض الغذاء الخاص بالحيوان "الحسيك" ليتناوله وهو واقف بعد أن يُعلَّق على رقبته.

و"الحسيك": مادة غذائية للخيل مكونة من مجموعة حبوب مدقوقة شبه مبللة تقدم له داخل كيس يعلق على رقبته.

[٩] سجنة: وهي من المحراث كاليد للمحراث مصنوعة من الحديد، وللتسمية صلة بشكلها فهي على هيئة عصا معوجَّة الرأس، وهذا معروف في فصيح العربية.

والتسمية لها علاقة بأصل الفعل والشكل والمادة.

- سجَنَ النخلَ: حفر في أصولها حُفَرًا تجذِبُ الماء إليها.
- والسِّجِّين: الصُّلبُ الشديد[٤٦].

[١٠] المحراث: ويُسمَّى "نبال" وهو ما تجرّه الثيران في حراثة الأرض، وللمحراث أجزاء هي:

الصعدة: وهي القطعة الخشبية التي تصل بين أسفل المحراث ومنتصف الخشبة الأفقية التي تصل بين رأسي الثورين. وهي من "صعد" وهي تدل على الارتفاع.

السَّحْب: وهو قطعة تغوص في التراث تشقّه، وهو من "سحب" بمعنى "جرّ".

الذرأة: هي العصا التي تثبت في مؤخرة المحراث يقبض عليها للتحكم في حركة المحراث وضبطه، ويصب منها الحب (البذر) فينثر في التربة.

الحبة: وهي قطعة حديد ملتفَّة تُربَط أو تُجمَع بين فكَّتي المحراث وهي مأخوذة من الاختباء في العربية بمعنى الاشتمال بالثوب أو غيره للجمع بين الظهر والساق.

[١١] المجرفة: وهي وسيلة تستعمل لمساواة الأرض يجرها ثور لكبرها، من "جَرَفَ الأرضَ؛ أي سَوَّاها".

الخاتمة

وبعد، فقد وجدنا في ألفاظ صنعاء الزراعية التي استعملوها شيئًا من أثر عاطفيّ كتسميتهم للمواضيع الزراعية: الجشعة، حول الهنا، قبلة ... وكتسميتهم لبعض المواسم بما يدل على أثرها ومظاهرها كالعطب أو القتور؛ وهما من مواسم الخريف... و"العطب" من قولهم: عطب الشيء، أي: أثر به وخدشه.

و"القتور" بمعنى البخيل والشديد الضيق على عياله؛ والذي نلاحظه أن هذين الموسمين شديد الحرّ والتأثير في الزراعة، لما يتعرَّض فيهما الزرع للتلف بسبب الحرّ.

وقد تطلق بعض التسميات لشكلها نحو: "حجنة" بمعنى العود أو العصا المعوجة الرأس، وهي من أدوات الحرث، وشكلها كالعصا المعوجة الرأس، أو أن تكون تلك التسميات دالة على الإفادة من المسمى نحو "رحبة" التي تطلق على القطعة الحديدية التي تجمع وتربط فكَّتي المحراث، ولعلها من "الاحتباء" في فصيح العربية؛ أي الجمع بين الظهر والساقين برباط أو ثوب أو نحوهما، وربما كانت التسميات دالَّة على اللون نحو: "الظلم" الذي يطلق على موسم من مواسم الصيف حيث يكثر فيه تراكم السحب السوداء التي تُقرِّبه من "الظلمة".

وقد يستعملون الترتيب العدديِّ للمواسم التي يفيدون فيها من النجوم نحو: حادية وتاسعة وسابعة وثالثة ورابع وخامس ...

ويقسمون السنة القمرية إلى مواسم ترتبط أساسًا بالزراعة، ويستدلون في تحديدها بالنجوم، والنظر إلى الثريَّا والهلال فإذا تساوت الثريَّا في سيرها بالهلال، أو كانا في خط أفقيّ للرائي يحدث "القران"، وفي هذا يكون موسم

آخر، ومن المعتاد أن يحصل "القران" بعد كل شهر. كما يستدلون بحركة الشمس وميلها بين الشمال والجنوب في بعض السنين وتحديد أوقاتها.

وقد يصحب ذلك شواهد ماديَّة تلازم هذا الموسم أو ذاك لكون الشجر، وظهور حشرات مُعيَّنة أو طير أو ظهور الثمر في الشجر، أو حركة الرياح واتجاهاتها وغير ذلك.

فظهور طائر الهدهد يُؤَكِّد أن الموسم هو "سهيل" – وهو كوكب يمان-؛ وظهور ثمار شجر البلس يؤكد أن الموسم هو "القرار" مع أن كلمة قرار ذات صلة باستقرار الشمس طوال المُدَّة في مكان معين بين الشمال والجنوب: أي إن مطلع الشمس يكون من مكان واحد خلال حقبة القرار التي تحدد بـ(١٨) يومًا، وهو أحد مواسم الصيف.

وهكذا تتلمَّس الأصل اللغويَّ الفصيح فيما أطلقه هؤلاء اليمنيُّون.

أعرف أن البحث العلمي بمنأى عن الإحساس العاطفي خاصة فيما يتعلق بعلم اللغة؛ ولكني أثبت أن الألفاظ الزراعية عند أهل صنعاء ترسم لنا لوحة فنية في غاية الجمال بل لا أبالغ إذا قلت أن الألفاظ تتجسد أمامك في شريط سينمائي مصوَّر تنقل الألفاظ من خلاله ظواهر البيئة المختلفة من حيث: الجغرافيا، والعادات، والتقاليد ... ومع التقنيات الحديثة ظلت تحافظ على دلالاتها فيما أقرته العربية الفصحى.

الهوامش

[١] د. إيمان السعيد، ألفاظ الحضارة في مصر بالقرن التاسع عشر، مكتبة كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص١٢.

[٢] أحمد مختار عمر، المكنز الكبير، سطور، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٣٦٨.

[٣] أبو خلدون ساطع الحصري، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٩٩.

[٤] السابق، ص١٢٢.

[٥] تمام حسان، اللغة العربية، مبناها ومعناها، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٩م، ص٣٤.

[٦] طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، المقدمة، ص[ب].

[٧] د. إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٠٣-١٠٤ بتصرُّف.

[٨] د. كامل مراد، اللهجات العربية الجديدة في اليمن، إصدار معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٠.

محمد الشعيبي، مدونة مفردات ورموز لغة الخطاب الصنعاني وآفاقها الاجتماعية والتاريخية، للمؤلف، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٩م.

[٩] شعيبي، ص١٠.

[١٠] سامرائي، ص١٠٧.

[١١] لسان العرب، مادة (س هـ ل).

[١٢] الوسيط، مادة (سهل).

[١٣] شعيبي، ص١١.

[١٤]وانظر: مادة (علب) في: لسان العرب، تاج العروس، المعجم الوسيط.

[١٥] لسان العرب، مادة (قنف).

[١٦] الوسيط، مادة (طلس).

[١٧] كأن الفعل "تثور" هنا يعدو إلى "الثور".

[١٨] ولعل "الجدم" هذه من بعض ما بقي من السبئية القديمة في لغة اليمن.

[١٩] لسان العرب، مادة (ظلم)؛ وانظر: تاج العروس.

[٢٠]لسان العرب، مادة (حجر).

[٢١] لسان العرب، مادة (قيض).

[٢٢] لسان العرب، مادة (سنا).

[٢٣] لسان العرب: مادة (عرم).

[٢٤] لسان العرب: مادة (رهق).

[٢٥] لسان العرب: مادة (كرع).

[٢٦] لسان العرب، مادة (كظم).

[٢٧] محمد الشعيبي، اليمن قبل الإسلام، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.

[٢٨]لسان العرب، مادة (مجل).

[٢٩] الشيعبي، لغة الخطاب الصنعاني، ص٣١، بتصرُّف.

[٣٠] الشيعبي، لغة الخطاب الصنعاني، ص٣٣ بتصرُّف.

[٣١] الحرَّة: أرض ذات حجارة سود نخرت كأنها أحرقت بالنار.

[٣٢] لسان العرب، مادة (جرب).

[٣٣] لسان العرب، مادة (دفر).

[٣٤] لسان العرب، مادة (دفر).

[٣٥] لسان العرب، مادة (غول).

[٣٦] لسان العرب، مادة (ودن).

[٣٧] د. إبراهيم السامرائي، في العربية المعاصرة، ص١٠٩.

راجع: القاموس المحيط في هذه المواد.

[٣٨] انظر: لسان العرب، مادة (شغب).

[٣٩] لسان العرب، مادة (هجج).

[٤٠] الوسيط، مادة (فرس).

[٤١] الوسيط، مادة (شرم).

[٤٢] لسان العرب، مادة (حلي).

[٤٣] اللسان، مادة (غرر).

[٤٤] الوسيط، مادة (غرر).

[٤٥] لسان العرب، مادة (عرر).

[٤٦] الوسيط، مادة (سجن)؛ لسان العرب، مادة (سجن).

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢. ابن منظور، لسان العرب، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣. أبو خلدون ساطع الحصري، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٤. أحمد مختار عمر، المكنز الكبير، معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، سطور، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٥. إيمان السعيد، ألفاظ الحضارة في مصر بالقرن التاسع عشر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٦. تمام حسان، اللغة العربية، مبناها ومعناها، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٩م.

٧. الزبيدي، السيد مرتضى الحسيني، تاج العروس، من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، وزارة الإرشاد الكويتية، الكويت، ١٩٦٧م.

٨. طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.

٩. كامل مراد، اللهجات العربية الجديدة في اليمن، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٠. محمد الشعيبي، اليمن قبل الإسلام، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.

١١. محمد الشعيبي، مدونة مفردات ورموز لغة الخطاب الصنعاني وآفاقها الاجتماعية والتاريخية، للمؤلف، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٩م.

١٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨م.